دفاع عن البلاغة

دراسة في موقف الدكتور محمد محمد أبي موسى من نقد البلاغة العربية

أ.م.د ميثم قيس مطلك الزبيديّ
جامعة القادسية
كلية التربية
قسم اللغة العربية
mathem.mtlak@qu.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٠/٥/١
تاريخ النشر ٢٠٢٠/٦/١٣

ملّخص:

هذا البحث معنيّ بالوقوف عند قضايا رئيسة يتحدّد في إطارها النقد الذي وجّه إلى تراثنا البلاغي، وموقف الدكتور أبي موسى من ذلك النقد، وهذهِ القضايا هي: الأسرار والدقائق البلاغية، وبين علم الأسلوب والبلاغة العربية، والتحليل البلاغي بين الجملة والنَّص، والبلاغة وقضية الإعجاز.

الكلمات المفتاحية : الدقائق البلاغية ، اسلوب البلاغة ، قضية الاعجاز

Abstract :

This research is concerned with examining key issues in which the criticism directed at our rhetorical heritage and Dr. Abi Musa's position regarding that criticism are determined. These issues are: secrets and rhetorical minutes, between stylistics and Arabic rhetoric, rhetorical analysis between sentence and text, rhetoric and the issue of miracles.

أولاً: الأسرار والدقائق البلاغية

ليس من الإنصاف أنْ يقال إنَّ مجالات البحث في الدرس البلاغي هي مجالات ضيّقة قد فُرغ منها، ولَمْ تعد تُجدي نفعاً[١]. إنَّما هناك مقاصد وأغراض حافلة باللّطائف والأسرار والمزايا البلاغية، فالقصد أو الغاية المرجوّة هي "الغوص البعيد على دقائق المعاني ولطائف الأسرار؛ لأنَّ هذهِ الدقائق واللّطائف هي الضَّالة التي نبحث عنها"[٢]. وقد نبّه عبد القاهر الجرجاني قديماً على أنَّ طريق العلم بالدقائق والأسرار " الرّوية والفكر، واللّطائف مستقاها العقل، وخصائص معانٍ ينفرد بها قومٌ قد هُدوا إليها، ودُلُّوا عليها، وكُشف لهم عنها ورُفعت الحجب بينهم وبينها، وأنَّ السبب في أنْ عرضت المزية في الكلام ووجب أنْ يفضل بعضه بعضاً"[٣]؛ ولذلك يُقرّر الدكتور محمد محمد أبو موسى أنَّ المنهج الذي سلكه القدماء في تحليلهم البلاغي كان ينهض على إدراكهم الواعي للفروق القائمة بين أحوال التراكيب[٤]، وهي بعد " تجارب بين أيدينا كلّ خطواتها، ثُمَّ هي أقرب إلى عقولنا؛ لأنَّها مستخلصة من علومنا".[٥]

لقد أكّد أبو موسى مراراً أنَّ من الخطوات المهمّة التي يجب أنْ نكون على وعي بها هي أنَّ دراسة علمائنا القدماء لأسرار اللسان العربي دراسة قائمة في جوهرها على فقه أسرار اللسان وفي التّعرف "على أخفى وأغمض ما يختلج في بواطنه من حسّ وشعور، وأنَّ العناية بالأحوال والكيفيات والتراكيب ليست إلّا بحثاً في أسرار القلوب والعقول الماثلة في أسرار الكيفيات والتراكيب" .[٦]

ويرى أبو موسى أنَّ مَن أراد أنْ يلتمس ذلك أكثر فأكثر فعليه أنْ ينظر بعين فاحصة إلى ما قدّمه ابن جني في دراسته لأحوال اللّسان العربي؛ ذلك "أنَّ البحث اللغوي وخصوصاً في كتاب الخصائص بحث في الأصول التي كانت تضبط ملكة البيان عند أصحاب هذا اللسان"[٧]، بل ذهب الدكتور أبو موسى إلى أبعد من هذا حينما مضى إلى أنَّ سيبويه ومَنْ سبقه من النحاة قد ارتبط تفكيرهم النحوي بـ "تحليل السليقة اللغوية ومنازعها في الإبانة واستشفاف القواعد والقوانين التي انطوت عليها هذهِ السليقة،

---

[1] يُنظر: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى: ٤٢، وينظر: تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، د. عبد الملك بو منجل: ٩- ١٠.

[2] دلالات التراكيب: ٢٣، ويُنظر: الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى: ٣٦، وينظر: التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. محمد محمد أبو موسى : ٢٦- ٢٧.

[3] دلائل الإعجاز في علم المعاني: ٧.

[4] دلالات التراكيب: ٥٣، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد محمد أبو موسى: ١٠.

[5] الإعجاز البلاغي: ١٧٣.

[6] دلالات التراكيب: ٧.

[7] م. ن: ٥٤.

وكأنَّه ضربٌ من التحليل النفسي للغة، أو ضربٌ من مُدارسة الفكر والمنطق الكامن وراء هذهِ اللغة"[٨]. ثُمَّ يقطع أبو موسى شوطاً آخر ليستدلّ على أهمية الكشف عن الأسرار والدقائق البلاغية بما ذكره السيوطي من أنَّ كلّ فن من فنون البلاغة يعد وجهاً من وجوه إعجاز القرآن[٩]، وقبله الرّماني بقرون عدّة قد ذكر أنَّ فنون البلاغة كالتشبيه والاستعارة والإيجاز من وجوه الإعجاز[١٠]، وهذهِ الفنون لا يُتصوّر أنْ تكون "من وجوه الإعجاز إلّا بما تحتها من دقائق وأسرار ولطائف ومعانٍ"[١١]، وهذا ما حدا أبو موسى على الدعوة إلى ضرورة "دراسة كلّ فن من فنون البلاغة في القرآن دراسة تستهدف شيئاً واحداً وهو البحث عن الّذي وراء هذا الفن في الكتاب العزيز من الأسرار والدقائق والمعاني واللّطائف فاق به كلّ كلام وبهر به وقطع".[١٢]

وإذا كانت هذهِ الفنون البلاغية من وجوه إعجاز القرآن؛ لما تنطوي عليه من أسرار ولطائف، فإنَّ هذهِ الأسرار واللّطائف ينبغي الكشف عنها، ليس في النَّص القرآني فحسب، بل في الشعر والأدب على نحو عام، فهي لا محالة وجوه تفاضل بين الشعراء والكتّاب والأدباء[١٣]، وهي بهذا الاعتبار مرتبطة أشدَّ الارتباط بـ"دواعي النَّفس وهواجس الحسّ وأشواق الروح، وإنّما يدرسها المشتغلون بها وهم يفهمون خطرها في بناء الشعر والأدب"[١٤]. وإذا كان الأمر منظوراً إليه من هذهِ الزاوية فلا بدّ من أنْ تختلف هذهِ الطرق "من شاعر إلى شاعر ولابدّ أنْ تكون درجات التفاضل راجعة إليها"[١٥]، فلكلّ شاعر وكاتب طرائقه الخاصّة التي يختلف بها عن طرائق غيره، والذي يريد "أنْ يتعرَّف على أسرار شعر الشاعر فليس له إلّا طرائق الإبانة التي أبان بها عن الأسرار"[١٦]، وهذا يُسلم إلى أنَّ غاية الدرس البلاغي ليست في أنْ نتعرَّف على أنَّ الكاتب أو الشاعر استعمل هذا التشبيه في هذا الموضع أو وظَّف المجاز العقلي أو المرسل في ذلك الموضع وما شاكل هذا، بل يجب البحث وراء كلّ فن من فنون كلامه عن المزايا والأسرار التي تقف وراء هذهِ الفنون، وهي مختلفة في كمّها وكيفها من كاتب إلى

---

[8] م. ن: ٥٤.

[9] يُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٢٣، ١٣٦، ١٨٦، ٢٠٢، ويُنظر: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى: ٨.

[10] يُنظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمنت ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٦.

[11] خصائص التراكيب: ٩.

[12] م. ن: ٩، وينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٠– ٣١.

[13] يُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٦، ويُنظر: خصائص التراكيب: ٩، وينظر: التصوير البياني: ٦٤.

[14] خصائص التراكيب: ٧٥، ويُنظر: الإعجاز البلاغي: ٣٥.

[15] خصائص التراكيب: ٩.

[16] م. ن: ٩، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٥.

كاتب ومن شاعر إلى آخر، وهذا ما أكَّد عليه أبو موسى في أكثر من مناسبة[١٧]. فالأسرار الكامنة في نفوس أصحابها هو ما يحرص عليه أبو موسى ويرى لزاماً القبض على تلك الدُّرر الثمينة، ثُمَّ على الدّارس أنْ ينشغل بالأدوات البلاغية العميقة والثرية بالمعاني والمكتنزة بالدلالات؛ ذلك "أنَّ وفرة المعاني ودقتها في هذهِ الأدوات مرتبطة بمقدار ثراء المعاني في نفوس القائلين، وكُلَّما تغازرت هذهِ المعاني وتدافعت والتبست في نفوس القائلين، زاد غموضها والتباسها، وزادت دقّتها في هذهِ الأدوات، حتّى إنَّك لترى الأداة من هذهِ الأدوات تدلّ على جزء من المعنى دلالة ظاهرة، ثُمَّ ترى وراء هذا المعنى الظاهر معاني أُخرى تخفى وتدقّ، وتسنح وتروغ، وتحتاج إلى صبر وتفريغ بال"[١٨]. وكأنَّه هُنا يُذكّر بقول عبد القاهر حينما قال: "واعلم أنَّك لا تشفي العِلّة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين، حتّى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مُجملاً إلى العلم به مُفصّلاً، وحتّى لا يقنعك إلّا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه.."[١٩]. وقبل عبد القاهر ما أورده الباقلاني الّذي ذهب إلى أنَّه لا يخفى على العلماء "ما يختصُّ به كلّ فاضل تقدّم في وجه من وجوه النظم من الوجه الذي لا يشاركه فيه غيره ولا يساهمه فيه سواه"[٢٠]. وعلى هذا يتحصَّل أنَّ للدرس البلاغي فلسفةً قائمةً على "أنَّ البلاغة ليست أداتنا لمعرفة الجيد، وإنّما هي أداتنا لمعرفة علّة الجودة، يعني هي بحث في الجيد لبيان الشيء الّذي به كان جيداً"[٢١]. ثُمَّ ينبّه أبو موسى على ذلك التوازن المنعقد بين ثراء المعنى في نفس قائله، وخفاء دراسة هذهِ الأدوات ودقّتها في النَّص، وهذا ما تجلّى في قوله: "والخلاصة التي لا أشكّ فيها أنَّ ثمة توازناً بالغ الدّقة بين ثراء المعنى في نفوس أرباب البلاغة وحُذّاق المعاني والمالكين ناصية البيان، وبين صعوبة والتباس وخفاء دراسة هذهِ الأدوات اللغوية التي ندرسها في هذا العلم، والتي هي وسيلتهم في الإبانة عن معانيهم".[٢٢]

إنَّ ما تقدّم ذكره لا يقتصر على الشعر والأدب وحسب، بل نرى أبو موسى يوسّع هذهِ الدائرة إلى مجالات العلوم الأخرى كالفقه والأصول والفلسفة والتاريخ، فكلّ عالم " له خصوصياته في لغته وفي فكره، فبناء الجملة في مدونة مالك يختلف اختلافاً لاريب فيه عن بناء الجملة في رسالة الشافعي، وهكذا يصير حقل اللغة بكل سعته وتنوّعه مجالاً للدراسات البلاغية الباحثة عن الخصوصيات الخاصة المتفرّدة في هذا التنوّع الزّاخر".[٢٣]

---

[17] يُنظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى: ٦٧، ويُنظر: دلالات التراكيب: ٢١، ويُنظر: خصائص التراكيب: ٩.

[18] دلالات التراكيب: ٢١، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ١٠– ١١.

[19] دلائل الإعجاز: ٢٦٠.

[20] إعجاز القرآن: ١٨٧، وينظر: خصائص التراكيب: ٣١.

[21] خصائص التراكيب: ١١.

[22] دلالات التراكيب: ٢٢.

[23] م. ن: ٣٧.

وهذهِ ملاحظة والتفاتة جديرة بالعناية؛ لأنَّها تسلّط الضوء على قيمة المباحث البلاغية وأهمية تحديد الملامح الأُسلوبية في تلك المتون، ويضيف في هذا المقام قائلاً: "وأحسبُ أنَّ العناية بتراكيب الجملة عند الفارابي أو الكندي أو أبي حنيفة أو الأخفش أو الطبري أو ابن الأثير لا تختلف من حيث أهميتها العلمية والبلاغية عن العناية ببناء الجملة في أدب ابن المقفّع أو الجاحظ أو الخوارزمي أو امرئ القيس أو المتنبي"[٢٤]. والباحث الحذق هو الذي يُنعم النظر من أجل الوقوف على الأساليب وأسرارها، فـ " لكلّ فن من الفنون أساليب تختصُّ به وتوجد فيه، فالفقهاء لهم في إجراء اللغة نهج وضرب، والنحاة لهم في إجراء اللغة نهج وضرب، وهكذا المؤرخون والفلاسفة".[٢٥]

يتحصّل ممّا تقدّم إنَّ ميدان البلاغة ميدان رحب، ومجالات البحث في علومها مجالات واسعة إذا ما دقّق الباحث النظر فيها، وكشف عن مزاياها وأسرارها، لا في حقل معرفي واحد، بل تتّسع الدائرة إلى حقول معرفية مجاورة.

ثانياً: بين علم الأسلوب والبلاغة العربية

علم الأُسلوب وريثُ البلاغة وبديلها المباشر مقولة شاعت كثيراً في الدراسات الأسلوبية الحديثة والمعاصرة[٢٦]، وما هذهِ المقولة – كما يراها الدكتور أبو موسى– إلّا مقولة فارغة ينبغي أنْ تُطرح جانباً وأنْ تُغادر أفكارنا، مُعلّلاً ذلك بقوله: "لأنّنا لمْ نُنشئ علم الأسلوب ولم نستخرجه من لغتنا حتّى يصحّ أنْ يكون بديلاً لعلم من علومنا، وبديهة العقل تقول إنَّ الذي يسدُّ مسدّ علم لا بُدَّ أنْ يكون مستوعباً لمسائل هذا العلم، ومستخرجاً من اللغة التي استخرج منها هذا العلم، ومؤدّياً الوظائف نفسها التي كان يؤديها هذا العلم، وأنْ نطمئن على قدرته على شرح طرائق العربية، وتحليل سننها في الإبانة عن معانيها قبل أنْ نئد هذهِ البلاغة التي قامت بهذهِ المهمة هذا الزمن الطويل"[٢٧]، والذين يرون أنَّ علم الأُسلوب بديل ووريث شرعي للبلاغة العربية يردّدون مقالة غيرهم من غير أنْ يُدركوا الفرق بين العلوم واللغات والإرث الأدبي الذي هو مختلف بين الأُمم بطبيعة الحال[٢٨]. فالبلاغة لا يمكن الاستغناء عنها، وعلم الأُسلوب لا يمكن أنْ يقوم مقامها[٢٩]، فهذا العلم؛ أي علم الأسلوب، يناسب البيئة التي نشأ فيها، ويوافق السياق المعرفي الذي ولد فيه، ولهذا يذكر أبو موسى أنَّه "إذا جاز لمن

---

[24] م. ن: ٣٧.

[25] م. ن: ٤٨.

[26] يُنظر: الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي: ٤٨.

[27] خصائص التراكيب:١٧، وينظر: التصوير البياني: ٣٦– ٣٧.

[28] يُنظر: دلالات التراكيب:٤٩.

[29] يُنظر: الأُسلوبية، الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس:٦٢.

استخرجوا علم الأسلوب من لغاتهم وعلومهم أنْ يقولوا هذا بناء على رؤيتهم، وأنَّهم حرصوا على لغاتهم، فلا يجوز لنا أنْ نقوله في بلاغتنا، وليس عندنا علم أسلوب".[٣٠]

إنَّ ذيل الكلام إنّما عنى به أبو موسى العلم المنتج في غير البيئة العربية الذي تكاثرت الدعوات إلى أنْ يحلَّ محلّ علم البلاغة؛ لأنَّه في موضع آخر يرى أنْ " يكون الأسلوب أو علم الأساليب فرعاً من فروع البلاغة أو وجهاً من وجوهها تمدّه وتثريه ويثريها، وليس بلازم أنْ يكون بديلاً لها أو وريثاً"[٣١]، فعلماؤنا القدماء قد نظروا في علم الأساليب، و "هو عندهم باب من أبواب معرفة الأدب، وعلم من علومه"[٣٢]، وهذا الكلام على مقربة قريبة جدّاً ممّا قاله شكري عيّاد حينما صدّر كتابه (مدخل إلى علم الأسلوب) قائلاً: " ولكنّني إذ أُقدّم إليك هذا الكتاب لا أُغريك ببضاعة جديدة مستوردة، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا؛ لأنَّ أصوله ترجع إلى علم البلاغة".[٣٣]

لقد أطال أبو موسى الوقوف عند مفهوم الأسلوب عند عبد القاهر الذي عرّفه بقوله: "والأسلوب الضَرب من النّظم والطريقة فيه"[٣٤]. ثُمَّ ثنّى بوقفة أُخرى على ما قاله ابن خلدون حول الأسلوب، إذ جاء في مقدمته إنَّه ليس من علم النحو؛ لأنَّ النحو يبحث في تحقيق أصل المعنى وليس من علم البلاغة؛ لأنَّ البلاغة تبحث في المطابقة وما به يكون كمال المعنى.[٣٥]

ويردّ أبو موسى ما جاء في مقدمة ابن خلدون بقوله: " وابن خلدون لم يتوفر على اتقان مقالة النحاة ولا مقالة البلاغيين، وإنّما كان يلمّ بأصول العلوم، يعينه عقل جيد وذكاء نادر وحافظة غريبة، والّذي نراه أنَّ هيئات الأساليب وصورها الذهنية وقوالبها التي يجردها الخيال من أعيان اللغة ومشخصاتها – وهذا جوهر تعريف الأسلوب عند ابن خلدون– كلّ ذلك هو ما تُبنى عليه المطابقة؛ لأنَّ المطابقة توظيف الهيئات اللغوية وفق الهيئات النفسية والصور الذهنية، وأعني بتوظيفها تنزيلها حيث تصيب، والقالب والمنوال الذي هو صورة ذهنية تكتسب بطول الملازمة، والنظر في أساليب العرب عند ابن خلدون هي ما يؤسس عليه المتكلّم جهده اللغوي وحركته الفكرية حال إنشاد الكلام، والفصل بين اللغة والفكر فصل لا محلّ له"[٣٦]. ثمَّ أضاف قائلاً: " وبناء الأسلوب يتمّ في داخل النّفس قبل أنْ يتحرك به اللسان، فالمعاني الجارية في الخواطر لغة ساكتة والكلام الجاري في اللسان فكرة ناطقة، فلا محلّ إذن

---

[30] خصائص التراكيب:١٨.

[31] دلالات التراكيب:٤٩.

[32] م. ن:٤٣.

[33] علم الأُسلوب مدخل ومبادئ:١١.

[34] دلائل الإعجاز:٤٦٩.

[35] يُنظر: مُقدمة ابن خلدون:١١٥٩/٣.

[36] دلالات التراكيب:٤٨–٤٩، ويُنظر: مقدمة ابن خلدون:١١٥٩/٣.

للفصل بين ضروب الأساليب التي هي صور ذهنية وقالب ومنوال وموضوع المطابقة"[٣٧]. وما أورده أبو موسى هنا نابع من تأثّره بقول الجاحظ، إذ جاء في البيان والتبيين ما نصّه: "فال بعض جهابذة الألفاظ ونقاط المعاني: المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوّرة في أذهانهم، والمتخلّجة في نفوسهم، والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّة، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة... وإنّما يُحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها..."[٣٨]. ونابع أيضاً من اتّكائه على قول عبد القاهر الجرجاني: "وهذا الحكم – أعني الاختصاص في الترتيب– يقع في الألفاظ مرتّباً على المعاني المرتّبة في النّفس، المنتظمة فيها على قضية العقل".[٣٩]

لقد أثبت أبو موسى ما يدلُّ على التناقض في دعوة مَن يرى أنَّ علم الأسلوب يجب أنْ يكون بديلاً عن علم البلاغة انطلاقاً من أنَّ علم الأسلوب هو الوريث الشرعي لها، وهذا التناقض ورد على هذا النحو: " هو أنَّ الذين يقولون إنَّ البلاغة يجب أنْ تدفن في التراب، وتُغرس شجرة علم الأسلوب في رفاتها، يُطيلون ذيل الكلام في إكبار فكر عبد القاهر الجرجاني، وأنَّه سبق عصره، وأنَّه يدخل قلب المعاصرة بإشراقات من الفكر الذي يسبق به كثيراً من رموز هذهِ المعاصرة، وموقف العجب المضحك من هذا هو أنَّ عبد القاهر لمْ يكتب شيئاً يذكر به إلّا هذهِ البلاغة التي قالوا إنَّها يجب أنْ تموت"[٤٠]. فعلم البلاغة لم يمت، والفنون البلاغية ما زالت حيّة تحتاج إلى مَنْ يتولّاها بالرعاية، ويتعهدها بالعناية والمراجعة الدقيقة وطول التأمّل ودقة النّظر، ومن يرى أنَّ هذا العلم لا يصلح في دراسة ما هو مشغول به، فعليه أنْ يقرأ في الحقول المعرفية الأخرى التي نهلت من علم البلاغة، وغرفت من أساليبه المتنوّعة، كما هو الحال في علم التفسير الذي أكّد علماؤه أنّه لا يجوز الخوض فيه إلّا بالوقوف على علمي المعاني والبيان[٤١]، وعلم أصول الفقه الذي يرجع إلى علم البلاغة في وضع ضوابط استنباط الأحكام الشرعية[٤٢]، وغير ذلك من الحقول المعرفية الأخرى.[٤٣]

ولم يكتفِ أبو موسى بهذا المقدار، بل نراه مُعرّجاً على مواطن التبادل والتفاعل ما بين هذهِ العلوم التي تنتمي إلى أصل واحد وثقافة مشتركة غير دخيلة، فحينما "يُفرغ التفسير على البلاغة أو تُفرغ البلاغة على التفسير نجد بلاغة جديدة ذات مذاق خاص وتفسيراً جديداً له مذاق خاص"[٤٤]، ثُمَّ إنَّ

---

[37] م. ن:٤٩.

[38] البيان والتبيين:١/٧٥.

[39] أسرار البلاغة:٥.

[40] خصائص التراكيب:١٩–٢٠.

[41] يُنظر: الكشاف، الزمخشري:٢٣.

[42] يُنظر: الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، د. مصطفى سعيد الخن:٦.

[43] يُنظر: خصائص التراكيب:٢٠.

[44] م. ن:٣٤.

الأمر لا يقتصر على التفاعل بين البلاغة والتفسير، بل يمتدُّ إلى النحو والفقه ومنظومة العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي هي من عائلة واحدة، تجمعها روابط مشتركة، وعزل هذهِ العلوم عن بعضها يورث ضموراً، ويقطع ما بينها من صلة وثيقة[٤٥]؛ ولذا كان علماؤنا القدماء لا يكتفون بالعلم أو العلمين، إنّما يجمعون بين العلوم والمعارف، ومَنْ ينظر في تراثنا يجد هذهِ الحقيقة ماثلة في مصنّفاتهم.

إذن – وبحسب رأي أبي موسى– ليس من المعقول أنْ يأتي علم الأسلوب المُنتزع من غير العربية ليكون أداة المُفسّر والفقيه وعالم الأصول ورجل العقيدة، وأنْ يبسط يده على علوم القرآن الكريم[٤٦]، وإذا ما تحصّل نفع هذا العلم أو فائدته، فهو نفع يناسب المنشأ الأصل والثقافة الأم، ومَن أُغرم بالأخذ عن الغرب من غير رويّة وتدبّر فقد وقع في دائرة التقليد، وإنْ حاول إدخال بعض التعديلات على عمل غيره، فإنَّ ذلك لا يخرجه عن أنْ يكون مقلّداً.[٤٧]

وإذا كان أبو موسى قد تحدّث عن علم الأُسلوب الذي أخذه بعضهم ليجعله ميداناً تطبيقيّاً على أدبنا وتُراثنا، فإنَّه هنا يُوسّع الدائرة لتشمل كلّ مُنجز دخيل على الفكر والأدب، ونعته بـ " الصّخب الذي تصنعه عصابة الشّطار الذين يتكلّمون عن اصطناع منجزات الآخرين في الفكر والأدب، أو الّذين يحثّون النّاس على اتّباع أحدث المذاهب"[٤٨]، حتّى وصل الأمر عندنا إلى أنّنا "اعتقدنا أنَّ العمل على حسب عقل الغير هو أصل النهضة وباب المعاصرة الذي ليس له مدخل إليها سواه"[٤٩]، ومن ثَمَّ فإنَّ التجديد قد ارتبط في تصوّرنا "بالأخذ عن الغرب، وارتبط التراث في نفوسنا بمجافاة التجديد، ثُمَّ الإغراق في الجمود، والدّوران في الدائرة المغلقة"[٥٠]؛ ولهذا يرشد أبو موسى الدارسين إلى مراجعة كلام علماء العربية وما خلّفوه لنا من تراث ضخم، وأنْ لا تغيب عن أذهانهم "فكرة انبثاق الجديد من غيب القديم، وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين، واجتهادهم وجهودهم في خلق المعرفة، وقدراتهم الفائقة على تطويرها"[٥١]، وأولئك العلماء " لم يطّلعوا على تراث الأمم من حولهم فحسب، وإنّما نفضوه نفضاً واستصفوا صفوه ولم يُدخلوا شيئاً من ذلك البتة في علوم العربية والإسلام"[٥٢]، كما هو الحال عند

---

[45] يُنظر: م.ن:٣٤.

[46] يُنظر: م.ن:١٩.

[47] يُنظر: مدخل إلى كتابي عبد الجرجاني، د. محمد محمد أبو موسى:٨، ويُنظر: خصائص التراكيب:٣٥.

[48] خصائص التراكيب:٣٦، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٢٠.

[49] خصائص التراكيب:٣٦، وينظر: التصوير البياني: ٣٣.

[50] الإعجاز البلاغي:١٧٥، وينظر: التصوير البياني: ٢٩.

[51] الإعجاز البلاغي:١٧٥–١٧٦، ويُنظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني:٧، وينظر: التصوير البياني: ٣٦.

[52] خصائص التراكيب:٥٧.

الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) الذي قصد من تأليفه إراحة " خواطر الناظرين في الكشّاف عن حقائق التنزيل، وترويح قلوبهم المتعبة بإجالة الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه.."[٥٣]. وفي هذا الشأن يقول أبو موسى مُعلّقاً: " وكأنَّه لا يدخله في بنية ثقافتهم وإنَّما هو ترويح وتنشيط"[٥٤]. وكذلك الحال عند القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) الذي كان معنيّاً فيه بذكر مَن اشتهر من الحكماء من القبائل والأُمم، قديمها وحديثها، إلى زمانه، وما يتّصل بذلك من أقوالهم وحكمهم ومصنفاتهم[٥٥]، وهذا يدلّ على أنَّه واسع الاطّلاع على تراث الأمم الأخرى، ومع هذا فإنَّ اولئك العلماء احتفظوا لعلوم الأمة ومعارفها "بنقائها وصفائها ولم يُدخلوا شيئاً من ذلك في بنية المعرفة الإسلامية، وليس هذا من الأمور التي تستنبط وإنّما هو واقع".[٥٦]

وانطلاقاً من هذا النحو من المعرفة والتحصيل أثنى أبو موسى على كثير من كتابات المعاصرين التي تُراعي الروح العربية، وتعتز بالتراث ولا تنساق خلف المقولات الجاهزة، فهؤلاء الكتّاب "استطاعوا أنْ يضبطوا أفكارهم ونفوسهم بعدما ثقفوا آداب أُمم أخرى، وحذقوها ونهضوا بأعباء الدرس وأثقال البحث فيها، فلمّا كتبوا في لغتهم وتراثهم كتبوا بمزاج عربي وأقلام عربية كانت أكثر خبرة وأعمق فهماً..."[٥٧]. فأبو موسى لا يدعو إلى هجر ما أنتجه الفكر الآخر، ولا يغضّ من الاهتمام به، لكنّه يدعو إلى تعديل هذا الاهتمام، وأنْ نحكم ما أنتجه فكرنا العربي ثُمّ ننظر في ما أنتجه الفكر الغربي، فـ " نتكلم في الرومانتيكية وما يجري عند الآخرين، ولكن يكون كلامنا أصلاً في استخراج أمثال هذهِ الإشارات ومدّ وبسط هذهِ المختصرات، ويدور الدرس حول ذلك دورات ثمَّ يدور حول المذاهب الأوربية دورة واحدة أو دورتين نطّلع فيها على ما عند الآخرين بعدما نحكم الذي عندنا".[٥٨]

إنَّ أبا موسى الذي يدعم هذا الموقف، يُحذّر في الوقت نفسه من نهج آخر يتمثّل في فرض العلوم المترجمة على ثقافتنا وفكرنا بحجّة وجود المناسبة القائمة على الانتقاء والاختيار، وهو ما يُعرف بـ(التّوليف)، وهذا ماثل في قوله: "ولمْ أعرف في تاريخنا ولا في غير تاريخنا جيلاً ارتضى أنْ يولّف علوماً على أساس اختيار ما يراه صالحاً من كلام سلفه، وما يراه مناسباً من كلام غيره، وأنْ يعقد شُبكة بين الكلامين المختارين، وأنْ يُداخل الجنسين ويمازج بينهما مزجاً يحصل به علم يرضاه، فيه من كلام علمائنا وفيه من كلام الغير.."[٥٩]. ثُمَّ يصرّح، بعد حين من القول، بأنَّ محاولة التّوليف بين التراث

---

[53] ربيع الأبرار ونصوص الأَخبار:٢٠.

[54] خصائص التراكيب:٥٧.

[55] يُنظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء:٧.

[56] خصائص التراكيب:٥٨.

[57] م. ن:٧٤.

[58] دلالات التراكيب:٤٨.

[59] خصائص التراكيب:٦١.

وثقافة غيرنا أو بين القديم والجديد هي محاولة ستنتهي "لا محالة إلى التغريب الكامل لأنَّ المنهج ما دام هو الأخذ من القديم ومن الجديد، فإنَّ الأخذ من القديم سيتوقف يوماً لأنَّ القديم لا يزيد ولا يُضاف إليه، والجديد باب الزيادة فيه مفتوح لأنَّ أصحابه يُضيفون إليه في كل يوم، هذا مع فساد أصل الموضوع ومُجافاته لطبيعة المعرفة وتساوقها وتناسقها وتجانسها.."[٦٠]، فمسألة التوليف لا يجيزها أبو موسى ولا يُقيم لها اعتباراً.

يُستشفّ مّما تقدّم إنَّ كلّ تفاعل مع ثقافة أُخرى يجب أنْ يكون تفاعلاً واعياً ورصيناً، ويقوم على أُسس صحيحة وسليمة، وأنْ لا تُقحم المقولات إقحاماً مُتعسّفاً تضرّ بالتراث أكثر ممّا تنفعه، فإذا ما أراد الدارس العربي أنْ يفيد من علوم غيره، وجب عليه التّحري والفحص والتدقيق، وأنْ يراعي أصول العربية والمرتكزات الثابتة في موروثنا.

وإذا كان ما ذُكر يُمثّل موقف المناهضين لتراثنا البلاغي كما يورده أبو موسى، فإنَّ هناك موقفاً آخر يتحمّس لهذا التراث ويُدافع عن علم البلاغة بحجّة أنَّ هذا العلم "يتضمّن من بين مسائله مسائل تشبه علم الأسلوب مثل العدول والاختراق والانتهاك والبنى التحويلية والتكرار النمطي والسياق وغير ذلك مّما يتقارب فيه الفكر البلاغي مع علم الأسلوب"[٦١]، وهذا التقارب يدفعه أبو موسى أيضاً، ويرى أنَّ هذهِ الدعوة تُثير الاستغراب والعجب؛ لأنَّها تفيد "أنَّه لا منازعة في أنْ يكون علم الأسلوب علماً من علومنا يُدرّس لأبنائنا، مع أنَّه ليس فيه حرف واحد من كلامنا، وليس فيه شاهدٌ واحدٌ من لغاتنا"[٦٢]. ومرجع ذلك، كما سبق، إلى الاختلاف في الأصول والتغاير في المفاهيم وما يمتّ إلى ذلك بصلة، ثُمَّ إنَّ الذي ينظر إلى هذا التقارب بين العلمين يحرص على أنْ يدرس علم البلاغة لا من زاوية أنّه علم مستقل، بل " لأنَّ فيه مسائل تُشبه ما في علم الأسلوب"[٦٣]. وهذا يُمثل قدحاً في علم أصيل من علومنا العربية، ويترتب عليه أنْ تبقى بلاغة اللسان العربي "عند أهل هذا اللسان مستجيرة في جوار علم الأسلوب الذي ليس منّا ولسنا منه".[٦٤]

وعليه يدعو أبو موسى إلى أنْ يبقى علم البلاغة هو العلم الأسمى الذي لا بديل عنه ولا وريث له، والمطلوب لإحياء هذا العلم توظيفه أو "استعماله في تحليل النصوص ودراسة الأدب بيقظة شديدة ووعي شديد، ودربة تطول ولا تُمل، المطلوب إعمال العقل في تلبّس المفردات البلاغية بالنّص، وذلك بنقل المدارسة بعد تحرير المسائل البلاغية إلى الشُّبكة التي بين هذهِ المسائل المحرّرة وصنعة

---

[60] م. ن:٦١، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:٢٨.

[61] خصائص التراكيب:٢٠.

[62] م. ن:٢٠، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:٢٥.

[63] خصائص التراكيب:٢٠.

[64] م. ن:٢٠.

البيان"[٦٥]. فالدعوتان السابقتان لا تستقيمان في تصوّر أبي موسى ويقف منهنّ موقف الرافض، بل إنَّه يُشدّد على أنَّ "القول بوأد البلاغة مع شناعته وجاهليته وغشمه أكرمُ من القول ببقائها لأنَّها تشبه في بعض أطرافها علماً صاغه غرباء من لغة غريبة وآداب غريبة ثُمَّ هو العدو الألدّ"[٦٦]. فليس من سبيل إلى إدخال علم ذي جذور غريبة وإقامته مقام علم عربي أصيل، وليس من سبيل إلى إقامة التّوليف المبني على الانتقاء والاختيار.

ثالثاً: التحليل البلاغي بين الجملة والنّص

من بين الانتقادات التي وجّهت إلى البلاغة العربية إنَّها حصرت نفسها في زاوية دراسة الجملة، ولم تتناول النّص كاملاً، وهذا الانتقاد أثبته أمين الخولي في أكثر من موضع، فتراه يقول: "تبدأ البلاغة – على آخر نظام لها– بالبحث في المفردات وخصائصها وهو علم المعاني، ثُمَّ البحث في المركبات ودلالتها وهو علم البيان، ثُمّ تحسين ثانوي وهو علم البديع، وفي هذا كلّه لم يتعدَّ البحث دائرة الجملة.."[٦٧]، ويذكر أيضاً أنَّ بلاغتنا العربية وقفت عند حدود بحث الجملة واقتصرت عليها، ولم تهتم ببحث المعاني الأدبية[٦٨]. وما ذهب إليه الخولي ذهب إليه كثير من الدارسين والباحثين، يقول أحدهم: "أمّا البلاغة فإنَّها لا تدرس النص كاملاً، بل تفتت النّص، وتنتخب، وتجتزئ البيت والبيتين أو الجملة والجملتين، وتحاكم المنتخب على أساس موافقة القواعد الموضوعة سلفاً، فالتحليل البلاغي حُصر في الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل؛ أي أنَّ البلاغة اعتمدت على نحو الجملة.."[٦٩]؛ ولهذا دعا أمين الخولي إلى أنَّ البحث البلاغي يجب أن يبدأ ويستوفى "من اللفظة المفردة، ولا تحدّه بالجملة، بل نمدّه إلى الفقرة، والعمل الفني الكامل، فنبحث فيها الأسلوب واختلافه، وأوجه تفاوته، ومزايا أنواعه المختلفة، وننظر النظرة الشاملة الجامعة في الأثر الأدبي كلّه"[٧٠]. أمّا أبو موسى فقد التمس سبب العناية بالجملة ذاهباً إلى "أنَّ النَّص مجموعة من الجمل، وتدقيق الدرس البلاغي في تحليل الجملة

---

[65] م. ن:٣١، يُنظر: مراجعات في أُصول الدرس البلاغي:٦٧.

[66] خصائص التراكيب:٢١.

[67] مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب:١٢٥، وينظر: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب : ٣٦.

[68] يُنظر: فن القول:٢٣٦.

[69] الأُسلوبية الرؤية والتطبيق:٧١.

[70] مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب:٢٠٠–٢٠١، وينظر: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية :٣.

يضع بين يدي مفتاح دراسة النَّص الكامل؛ لأنَّني انتقل بهذهِ الأدلّة المدققة في بناء الجملة من جملة إلى جملة حتّى أصل إلى نهاية النّص".[٧١]

فمدار الأمر على الجملة التي هي جزء من النّص، أو هي الداخلة في بنائه، وإقامة الاستدلال على قضية ما يتأتّى من خلال محاورة الجملة أو مجموعة من الجمل، وبعبارة أبي موسى إنَّ مَنْ "يشرح لي قاعدة في النحو أو البلاغة لا يُتاح له أنْ يجعل شاهدهُ النّص الكامل، وإنَّما هو يشرح لي مثلاً تركيب الجملة مع همزة الاستفهام، فيدور بهذهِ الهمزة مع مفردات الجملة، ويقول لي: إنَّ دخول الهمزة على الفعل يُفيد معنى لا يفيده إذا أدخلنا الهمزة على الفاعل أو المفعول وهكذا، وحسبه أنْ يُعلّمني كيف استخرج دلالة التركيب من الجملة"[٧٢]. فهذا ما يستدعيه موضع الشاهد ويوجبه النّظر في المصداق المذكور.

وأبو موسى الّذي يُبرّر العناية بالجملة يرى أنَّ علماء البلاغة قد اهتموا بالنّص في مواضع من المباحث البلاغية كما هو الحال في باب (الفصل والوصل) الذي لَم يقتصر البحث فيه على عطف جملة، بَلْ هناك ما عُرِف عند العلماء بعطف جملة من الجمل على جملة من الجمل، وقد ذكروا شواهد ذلك[٧٣]؛ ولذا تجد عبد القاهر الجرجاني مثلاً يقول: " فأمر العطف إذن، موضوع على أنَّك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضاً على بعض، ثُمَّ تعطف مجموع هذي على مجموع تلك"[٧٤]. فالقول بأنَّ البلاغة العربية "تقف عند الجملة كلام فاسد"[٧٥]، وعليه فإنَّه يُضيّع كثيراً من المسائل البلاغية المهمة ويتجاهل أصولاً مُقرّرة في الدرس البلاغي.[٧٦]

وكذلك الحال في الواو التي تُسمّى عند العلماء بـ (واو الاستئناف)، والتي تفيد عطف قصة على قصة أخرى[٧٧]. يقول المرادي: "والظاهر أنَّها الواو التي تعطف الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب لمجرد الربط، وإنَّما سُميّت واو الاستئناف لئلّا يُتوهم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها"[٧٨]. والمراد بالقصّة عندهم " معنى متكامل تدور جُملُه الكثيرة حول أصل، ثُمَّ يعطف هذا المعنى

---

[71] خصائص التراكيب:٢١.

[72] م. ن:٢١.

[73] يُنظر: م. ن:٢٢.

[74] دلائل الإعجاز:٢٤٥.

[75] مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني:٣٥٤.

[76] يُنظر: خصائص التراكيب:٢١-٢٢.

[77] يُنظر: م. ن:٢٢.

[78] الجنى الداني في حروف المعاني:١٦٣.

بهذهِ الجمل الكثيرة على معنى آخر تكوّن من جملة من الجمل دار حول أصل"[٧٩]، ومن ثَمَّ " يصير النَّص كأنَّه دوائر تتشابه وتتناسق وينضمّ بعضها إلى بعض".[٨٠]

وأمر آخر كان أبو موسى قد صرّح به، وهو أنَّ القول إنَّ البلاغة قد أهملت النَّص هو قول يتجاهل ما جاء في تعريف علم البلاغة الذي يفيد مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[٨١]، وإذا كان هذا التعريف قد استقرّ عند المتأخرين، فإنَّ القدماء قد أوردوه في غير مناسبة، فبشر بن المعتمر يجعل " مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقامٍ من المقال"[٨٢]، ويذكر أيضاً أنَّه " ينبغي للمتكلّم أنْ يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فنجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويُقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[٨٣]

ويمضي أبو موسى إلى أنَّ فكرة السياق تولَّدت من هذا الأمر، وهذهِ الفكرة "تُفسَّر في ضوئها كلّ الأبنية البلاغية الواردة في النَّص"[٨٤]. وتجدرُ الإشارة إلى أنَّه قد يُعبّر عن "مقتضى الحال" بـ "السياق" أيضاً، وما يُستشفُّ من كلام السكاكي حينما قال: ".. على ما يُطلعك على جميع ذلك شيئاً فشيئاً مساق الكلام في العلمين"[٨٥]، و"مساق" و "السياق" يأتيان بمعنى واحد؛ لأنَّ كليهما مصدر الفعل "ساق"[٨٦]، وعلى هذا فإنَّ فكرة السياق التي يُتّكأ عليها في البحث البلاغي " تتصادم مع القول بأنَّ البلاغة وقفت عند الجملة لأنَّ السياق لا معنى له إلّا النّظر الواعي لحركة المعنى داخل النّص كلّه"[٨٧]. وليس هذا فقط، بل إنَّ العلماء قالوا إنَّ من أهمّ الأهداف التي يسعى إليها علم البلاغة هو الوقوف على إعجاز القرآن، وقَدْ ذكر الله تعالى أنَّ التحدي ليس بالجملة، ولا بجزء السورة، وإنَّما بالسورة كلّها كما في قوله تعالى: { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ }[٨٨]. وقد أبان العلماء عن وجه ذلك وهو أنَّ الإعجاز يتحقَّق من أوَّل السورة إلى آخرها[٨٩]، ومن البلاغيين مَنْ رأى أنَّ الإعجاز يتحقّق في

---

[79] خصائص التراكيب:٢٢.

[80] م. ن:٢٢.

[81] يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني:١/٤١.

[82] البيان والتبيين:١/١٣٦.

[83] م. ن:١/١٣٨-١٣٩.

[84] خصائص التراكيب:٢٢.

[85] مفتاح العلوم:٢٤٨.

[86] يُنظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون:١/٤٦٤.

[87] خصائص التراكيب:٢٢، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:٣٦.

[88] البقرة:٢٣.

[89] يُنظر: دلائل الإعجاز:٣٨٥ وما بعدها.

المناسبات بين الآيات أو ما يُعرَف بـ"علم المناسبة"[٩٠]، وفائدة هذا العلم "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحكم، المتلائم الأجزاء"[٩١]، وهذا لا يتمّ " إلّا في دراسة متكاملة لكلام متكامل"[٩٢]. كما تكلّم أولئك العلماء في مناسبة المطالع للمقاصد والخواتيم سواء أ في القرآن الكريم كانت أم في غيره[٩٣]، وهذا الأمر "لا يتحقق إلّا بدراسة النّص كاملاً".[٩٤]

بعد هذهِ الأدلّة التي عرض لها أبو موسى يُصرّح قائلاً: "وكلّ هذا جعلني لا ألتفتُ إلى هذا الانتقاد الّذي وجّهه الشيخ أمين للدراسة البلاغية، ولا أعرف أحداً ذكره قبله لا من القدماء ولا من المُحدثين، ثُمَّ رأيتُ هذا الكلام يُطلُّ علينا مرّة أخرى من كتب كان يجب أنْ تُراجع قبل أنْ تُردّد"[٩٥]، ثُمَّ يرى أنَّ الذي أغرى الشيخ أمين الخولي بهذا القول أو الانتقاد أنَّه قد اعتمد في رؤيته إلى الدرس البلاغي على شروح التّلخيص[٩٦]، وبمراجعة ما كتبه الخولي نفسه يظهر هذا الأمر في مقام حديثه عن المدرسة الكلاميّة بقبال المدرسة الأدبية[٩٧]، أو كما أسماها السيوطي بطريقة العجم وأهل الفلسفة بقبال طريقة العرب والبلغاء[٩٨]، فالمدرسة الكلامية هي التي فازت بـ"النصيب الأوفى من السكاكي ومفتاحه، ثُمَّ لا تلبث أنْ تأخذ بمخنق البلاغة وتسيطر على دراستها في عهد التلخيص والشروح والحواشي"[٩٩]. هذا ما قاله الخولي، وقال أيضاً: "استقرّ الدرس البلاغي عند كتب التلخيص والشروح والحواشي، وبخاصّة متن التلخيص الذي هو خلاصة القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي"[١٠٠]. ولا يخفى أنَّ البلاغة العربية في تلك المرحلة غلب عليها الطابع التعليمي أو أنَّها جُعلت درساً تعليميّاً، ولمّا كان الأمر يسيرُ على هذهِ الحال، كانت ظروف ذلك الدرس "تقتضي عليه بإيثار منهج تعليمي وأُسلوب بحث درسي له صفة واضحة مُعيّنة، هي الاتّجاه إلى النّاحية النّظرية التعليميّة، والّتي تعتمد على الضّبط العقلي، والقواعد المطّردة ، والحدود الضابطة، وما إلى ذلك مّما يُحقق الغرض التهذيبي المحض، ولا يتحقق

---

[90] يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي:٤١/١، ويُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:٤٤/١-٤٥.

[91] البرهان في علوم القرآن :٤١/١.

[92] خصائص التراكيب:٢٢.

[93] يُنظر: البرهان في علوم القرآن:١٣٤/١.

[94] خصائص التراكيب:٢٣.

[95] م. ن:٢٣.

[96] يُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٣٩، ويُنظر: خصائص التراكيب:٢٣.

[97] يُنظر: فن القول:١٢٦، ويُنظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب:٩٦.

[98] يُنظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة:١٥٥/١.

[99] مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأَدب:١٢٤.

[100] فن القول:٧٧.

معه في سهولة، كثير من الغرض الأدبي العلمي، الّذي يُراد من تعلّم لغة، ومعرفة أدبها وفنّها القولي" [١٠١]

ويواصل أبو موسى نقده الخولي، ذاهباً إلى أنَّ "الّذي يحتكم إلى تلك الشروح فضلاً عن الحواشي والتقارير، قد تقاصر نظره، ونسي أو تناسى أنَّها ليست من الكتب المجتهدة المبتكرة التي تحسّ فيها الحياة والكد، وإنّما هي تراث مرحلة خبا فيها وهج الفكر في هذهِ الأمّة لمّا ضعفت دولتها، وهدأت ثائرته واندفاعه وابتكاره وتجديده، فانطوى على نفسه يجترُّ جهوده الماضية ويحلّلها ويناقشها.."[١٠٢]، ثُمَّ إنَّ أولئك البلاغيين المتأخرين قد "وضعوا أنفسهم من هذا العلم موضعاً مُنصفاً فسمّوا كتبهم شروحاً وحواشي وتقارير، وهذهِ الأسماء تشير إلى أنَّها ليست كتباً مستقلّة ناهضة بنفسها في معالجة قضايا العلم، وإنَّما هي كتب مجموعة تدور حول كتب أُخرى"[١٠٣]. ومع هذا الّذي ذكره أبو موسى، فقد ذكر أيضاً أنَّ هذهِ المرحلة من تاريخ التأليف البلاغي قدمت لنا منهجاً دقيقاً "في إيراد النّظر وضبط الفكرة وتحديدها وإحكام العبارة عنها"[١٠٤]، ولا ريب في أنَّه "شرف للبلاغة أنْ تكون علماً، من أنْ تكون بحوثاً مبعثرة، لا تلتزم بخطة، أو منهج يضبط حركتها"[١٠٥]، ناهيك على أنَّ هذا الضبط الدقيق والتقعيد الصارم حتمته طبيعة المرحلة التاريخية التي شهدت رواجاً واسعاً للعلوم المنطقية والفلسفية، وتلك العلوم تميل بحكم طبيعة منهجها إلى التقنين والتقعيد والضبط، وعلى هذا لم تكن البلاغة – كما يُقرّر الدكتور شكري المبخوت– بمعزلٍ أو "علماً معزولاً داخل المنظومة المعرفية القديمة عن بقية العلوم في منهجها وطرق الاستدلال على مسائلها"[١٠٦]. ومع هذا يرى أبو موسى أنَّه "من الغريب أنْ تتحدّد بلاغتنا وتنتهي عند هذهِ الصورة في هذا المنهج الذي لم يضع أصوله فقهاء هذا الفن"[١٠٧]، فدائرة الدراسة البلاغية ومادتها يجب أنْ تكون أوسع ممّا هو متداول في كتب الشروح والحواشي والتقارير، على أنَّ أبا موسى نفسه– وإنْ قال بهذا– فإنَّه يرفض "هذهِ الطريقة التي تُطالب أوائلنا بالوفاء بحاجاتنا وإلّا كان ذلك مُبرّراً للأخذ من الآخرين"[١٠٨]، وذيل الكلام يحيل إلى ما سبق الحديث عنه في شأن الأخذ من العلوم والثقافات الأخرى، بخاصّة ما يتعلّق بعلم الأسلوب، أخذاً لا يراعي الهوة الواسعة بين ثقافتنا وعلومنا وثقافة غيرنا وعلومهم؛ ولذلك يؤكّد أنَّ الذي يجب أنْ يكون نصب أعيننا " هو أنَّ علماءنا وضعوا هذه اللّبنة وعلينا أنْ نضع لبنة فوق لبنتهم من خلال حاجاتنا وأنْ تكون هذهِ اللبنة صورة

---

[101] م. ن:١١٧.

[102] خصائص التراكيب:٧٥.

[103] م. ن:٧٧.

[104] خصائص التراكيب:٧٥.

[105] البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب:٢، وينظر: تأصيل البلاغة: ٢٠.

[106] الاستدلال البلاغي:٧٢.

[107] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٣٨.

[108] خصائص التراكيب:٢٣.

لنا"[١٠٩]، فلا يكتفي الباحث بتلخيص ما قرأ، بل عليه أنْ يضيف شيئاً إلى ما قرأ، وأنْ يبحث في زواياه عن خباياه بيقظة ووعي[١١٠]، وهذا لن يتمّ إلّا بأنْ يروّض طالب العلم نفسه على الصبر والانقطاع والاجتهاد وأنْ يؤمن بأنَّ " تحليل الفكر البلاغي مختلف لا محالة من باحث إلى باحث مع الاتّفاق في الجذور التي لا يتسامح فيها أهل العلم"[١١١]. فها هي الدعوة تتكرر مرّة أخرى إلى ضرورة العودة إلى تراثنا ليكون المنطلق والأساس لكلّ مقاربة جديدة أو إضافة نوعية.

رابعاً: البلاغة وقضية الإعجاز

هذا نقدٌ آخر وُجّه إلى البلاغة العربية، وهو أنَّها لمَّا شُغلت بفكرة الإعجاز واتَّجهت عنايتها صوب هذه الفكرة، تخلَّت عن رسالتها، وهي البحث في بلاغة البيان أو جماليته[١١٢]. ولمّا كانت قضية الإعجاز قد هيمنت عليها المباحث الكلامية والفلسفية وما أشبهها، كان ذلك مدعاة لأنْ تبتعد البلاغة عن العناية بالجانب الأَدبي، وهو أمر سبق أنْ أشار إليه أمين الخولي حينما صّرح أنَّ المدرسة الكلامية قد اعتنت أولاً وأخيراً بإعجاز القرآن، على حين اعتنت المدرسة الأَدبية بالتكوين الأدبي، وتربية الذوق الناقد، والتمرين على صناعة الجيد والمستحسن من الكلام، لكنَّها حين تتناول قضية الإعجاز فإنَّها تمسّها مسًّا أدبيًّا ما أَمكن[١١٣]، ويذكر في موضع آخر:" قضية الإعجاز هي أقوى ما وصل بين الكلام والبلاغة، ومن هذا نستطيع أنْ نعدَّ كتبها كلامية في جملة أمرها"[١١٤]، وفي موضع ثالث يشير إلى أنَّ هذه القضية كان "لها الفضل الأكبر في ظهور مؤلفات بلاغية بعينها ممّا لا يمكن فهمه الفهم الجيد إلّا بعد الرجوع إلى مذاهب المتكلمين في الإعجاز كما تشرحها كتب العقائد".[١١٥]

أمَّا أبو موسى فيرى أنَّ هذا الكلام يخلط بين مباحث الإعجاز على طريقة المتكلمين أو علماء العقيدة، وبين مباحث الإعجاز على طريقة أهل البيان، ولهذا يقول:" إنَّ قضية الإعجاز لها جانب يعالجه علماء العقائد ويغلب عليه علم الكلام، ولا شأن للإعجاز البلاغي به؛ لأنَّ الإعجاز البلاغي يخوض في الشعر وبلاغة البيان من ألفه إلى يائه ولم يغفل علماؤنا التنبيه إلى ذلك، وإنَّما كانوا يقولون إنَّهم يدرسون الإعجاز على طريقة الأَدب، وليس على طريقة المتكلمين. وتخلو كتبهم خلوّاً تامّاً من مسائل علم الكلام، كالذي نراه في كتابات عبد القاهر في

---

[109] م. ن:٢٣.

[110] يُنظر: مراجعات في أُصول الدرس البلاغي:٩٥، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:٢٩، وينظر: التصوير البياني: ٥٦.

[111] خصائص التراكيب:٥٠، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:١٧٥.

[112] يُنظر: خصائص التراكيب:٢٤.

[113] يُنظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب:٩٦.

[114] م. ن:١٠٧.

[115] م. ن:١٢٨-١٢٩، ويُنظر: فن القول:١١٧.

كتابه الأساسي وهو دلائل الإعجاز، وفي رسالته الشافية، وكالذي نراه في رسالة الخطابي وكتاب الرماني، وكتب الإعجاز فيها أصول في نقد الشعر لا تجدها في الكتب الخالصة كالموازنة والوساطة وغيرها".[١١٦]

وجديرٌ بالذكر إنَّ ما ذكره أبو موسى لا ينفي أنَّ علماء الدرس البلاغي قد تأثّروا بما هو رائج من الثقافات الفلسفية والكلامية، لكن ليس بذلك المقدار الذي تحدّث عنه أمين الخولي حينما قال:" ولو رحنا ننظر استباق المدرستين الأدبية والكلامية طوال حياة البلاغة لوجدنا أنَّ المدرسة الكلامية كانت أوفر حظّاً عند المتقدمين، كما أنَّها كانت الأرجح كفّة عند المتأخرين، ثم الغالبة المنفردة في النهاية"[١١٧]. فالتأثر بالثقافات الوافدة تأثّر واضح عند المتأخرين، لكنّه عند المتقدمين ليس كذلك، ومَن يتتبَّع ما كتبوه يجد هذا الأمر ماثلاً أمامه، وإذا كان الخولي قد اتّكأ على شيوع عبارات من قبيل "إنْ قُلتم قلنا"، و"كيف لا يكون الأَمر كذلك"، و"ما هو إلّا كذا وكذا"؛ ليثبت أنَّ عبد القاهر مثلاً "هو متكلّم أو بليغ كلامي الدرس في كتابه دلائل الإعجاز يُعنى أولاً وأخيراً بقضية الإعجاز فقط وينصرف إليها انصرافاً تامّاً، فيجادل عنها جدلاً منطقيّاً بارز النزعة في أُسلوبه"[١١٨]. أقول: إذا كان الخولي قد اتّكأ على شيوع هذا الأسلوب أو الطريقة، فيمكن القول إنَّ هذه الطريقة الجدلية هي في الواقع بنية لها في الثقافة العربية تاريخ صارت بمقتضاه سنّة من سنن بناء النظم الفكرية والأنساق المعرفية[١١٩]، وهي بعدُ بنية تجعل العلاقة القائمة بين مُرسل الخطاب ومتلقيه علاقة قائمة على مبدأ الحوار، وما يؤدي إليه ذلك التفاعل من حيازة التوافق بين الطرفين.[١٢٠]

لقد اتّضح ممّا سبق إنَّ قضية الإعجاز وما يتّصل بها في منظور المدرسة الكلامية هي غيرها في منظور الدراسة الأدبية، فتلك متأثرة بمفاهيم علوم أخرى كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام، أَمّا المدرسة الأَدبية فلها شأن خاص يتّجه نحو الكشف عن اللطائف والأَسرار البيانية، وهي بعدُ وثيقة الصلة بما هو مأثور عن العرب في شعرهم ونثرهم أو قل هي من الخصائص التي يكشف عنها مَن له طبع سليم وذائقة رفيعة في فهم دقائق اللسان العربي.

وعن صلة البلاغة بالإعجاز يؤكد أبو موسى أنَّ "القول بأنَّ البلاغة فسدت لما دخلت موضوع الإعجاز كان من أعجب ما قرأتُ؛ لأنّنا لو تصوّرنا وجود بلاغة بعيدة عن الإعجاز وهي عندنا بلاغة صالحة، ثُمّ لمّا داخلت الإعجاز فسدت، نكون قد تصوَّرنا وهماً محضاً؛ لأنَّ البلاغة لم تُولد إلّا تحت عنوان دلائل الإعجاز الذي كتبه عبد القاهر وهو المؤسس لهذا العلم"[١٢١]. وأضاف إلى ما ذكر أنَّ المباحث البلاغية "التي نقصد إليها حين

---

[116] خصائص التراكيب:٢٥، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:١٨٣.

[117] مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأَدب:١٢٢.

[118] م. ن:١٢٣.

[119] يُنظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، د. علي الشبعان:٢١٦.

[120] يُنظر: م. ن:٢١٧.

[121] خصائص التراكيب:٢٤.

نتحدث عن البلاغة لم توجد قبل كتاب دلائل الإعجاز، وإذا كانت قد أُنشِئت ووُلدت من رحم الإعجاز، فكيف يُتصوّر القول بأنّها لما شُغلت بالإعجاز فسدت؟"[١٢٢]. وعليه يدعو إلى عدم عزل قضية الإعجاز عن مجال الدراسة الأَدبية، أَمَّا مَن فعل ذلك فهو فعل "لا وجه له ولا سبب له إلّا انقطاع صلة الدرس الأَدبي عندهم عن القرآن، وتبع ذلك الجهل بعلوم القرآن وبقضية الإعجاز؛ لأنَّ الجهد مصروف إلى المذاهب والمناهج التي صاغها غرباء".[١٢٣]

وفي هذا الإطار أخذ أبو موسى بانتقاد الخولي انتقاداً شديداً حينما قال:" وأقطع أنَّ الشيخ أمين لم يقرأ من كتب الإعجاز إلّا ما كتبه القاضي عبد الجبار في الجزء السادس عشر من كتابه الكبير المغني في أبواب التوحيد والعدل"[١٢٤]، ثُمَّ واصل نقده قائلاً:" ولا أَشكّ في أنَّ القاضي عبد الجبار هو الذي أوقع الشيخ أمين – رحمه الله– وأغراه بهذا الكلام الغريب، وذلك لأنَّ الإعجاز عند القاضي عبد الجبار أُمدّ كهوف المتكلمين على هذا المذهب، وعقله من أقدر العقول على الحوار واللّجاجة والمناقضة، واللّمع البلاغية في هذا الكتاب غارقة ومختنقة بعلم الكلام"[١٢٥]. ومرّة أخرى يدعو أبو موسى إلى أنَّ الإعجاز ورصد أسراره ينبغي أنْ ينظر فيه القارئ إلى ما قالته المدرسة الأدبية وما وقفت عنده وأبانت عنه؛ لأنَّها من صلب بيئتنا وأصولنا وثقافتنا، أمّا تلك التي تستورد علوم الآخرين وتقحمها في بحث قضية إعجاز القرآن، فيحتاج الأمر فيها إلى وقفة وإعادة نظر، وهذا ما يمكن أنْ يستشفّ من كلامه حينما قال:" القول بأنَّ البلاغة أَفسدها تلبُّسُها بعلم الإعجاز لا يجوز أنْ ينظر فيه إلى كتاب القاضي عبد الجبار، لأنَّه توفي – رحمه الله– قبل أَنْ يكتب عبد القادر دلائل الإعجاز بأكثر من خمسين سنة، وقد كان الردّ على ما جاء في كتاب المغني من شواغل عبد القاهر في كتابه الدلائل" .[١٢٦]

وليس عبد القاهر ما يُرشد إليه أَبو موسى فقط، بل ذكر جملة من العلماء منهم الباقلاني والخطابي والرماني كما تقدّم، فكتاب الخطابي مثلاً على "صغر حجمه فيه من العلم والبلاغة العالية والفكر النقدي المضمر في طي سطوره الكثير والنافع"[١٢٧]، والباقلاني يذهب إلى أنَّه لا يُدرك الإعجاز إلّا مَن استطاع أنْ "يميّز بين الشعر الجيد والرديء، والفصيح والبديع، والنادر والبارع والغريب"[١٢٨]. فقضية الإعجاز القرآني عند الباقلاني هي "من علم الشعر والأدب، والتعرّف على طرائق الكلام، وكيفية تقلبه في وجوه الفصاحة والبلاغة، والتَّعمل والطبع،

---

[122] م. ن:٢٤.

[123] م. ن:٢٦، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٨، وينظر: التصوير البياني: ٤٢.

[124] خصائص التراكيب:٢٥.

[125] م. ن:٢٦.

[126] م. ن:٢٦.

[127] م. ن:٢٥، ويُنظر: الإعجاز البلاغي:٤٦ وما بعدها.

[128] إعجاز القرآن:١٧٢.

والروية والبديهة"[١٢٩]، والباقلاني في معالجته لهذه القضية "لم يداخلها من علم الكلام أو علم أُصول الدين إلّا ما لا يمسّ جوهرها، فظلَّت أدبية خالصة، وقد دخل بها أدقّ مسالك هذا الباب، وطرق بها أَغمض جهاته"[١٣٠]. ثم يرجع أبو موسى مرة أخرى إلى عبد القاهر ليقول سمّى كتابه دلائل الإعجاز ويعني به "دليل النبوة، وهذا الكتاب الذي هو من أصل الدين على حدّ ما تدلّ عليه تسميته بناه الشيخ على الشعر.."[١٣١]، ثُم يضيف:" والمهم أنَّ كتابه مادام دليل النبوة فهو من هذه الجهة في أصول الدين، ثُمّ هو مؤسس على الشعر جاء في الكشف عن أسرار الشعر وأحواله ودقائقه ووسائل بيانه، وبهذا نرى كتب أصول الدين تؤسس على الشعر وتُبنى عليه وتتخذ من الشعر معدناً لها، ولو قلت إنَّ الشعر أساس علومنا وأصل من أصول الدين لم تكن قد تجاوزت الحقيقة"[١٣٢]. وأفاد الجرجاني أنَّ مَن أَراد أنْ يتبيَّن موضع الإعجاز ويراه، فعليه النظر في نظم الشعر ونظم القرآن[١٣٣]. ثُم يتّجه أبو موسى ناحية أبي يعقوب السكاكي ويستدلّ على أنّه جعل تفقُّد الشعر والكلام المبين أَساس تعريفه علم المعاني[١٣٤]، وكتابه مفتاح العلوم "قواعد، وقواعد أي حرفة لا تكسبك المهارة فيها، وإنَّما الذي يكسبك المهارة هي الممارسة، والممارسة في هذا العلم تحليل الشعر والأَدب"[١٣٥]. وهذا ما أتاح للبلاغة – بحسب الدكتور محمد عبد المطلب– التحوّل "عن مهمتها الأولى وهي إنتاج النص إلى مهمة جديدة هي تحليله والكشف عن نظامه".[١٣٦]

وبهذا يتّضح إنَّ مَن يريد أنْ يمارس النظر البلاغي الحق، أنْ يهيء نفسه وأنْ يُشربها رفيع الكلام، وبيان اللغة العالية، ولن يكون ذلك إلّا بتفقّد الشعر والعناية به، وهكذا يدعو أبو موسى في أكثر من مناسبة إلى ضرورة مدارسة علم الشعر والاحتفاء به؛ لأنّه الطريق المؤدّي إلى فهم أسرار الكلام العربي وما نزل به القرآن، حتّى قال:" فإذا كنتُ أقول إنَّ علم الشعر هو أصل علومنا فلا يفزعنّك ذلك ولا تستغربه، واعلم أنَّ علوم الأمّة كلّها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وحديث وعقائد وفقه وأصول فقه، كلّها مرتكزة على هذا الشعر وقائمة على متونه؛ لأنَّه هو اللسان"[١٣٧]. وإذا كان العلماء وهم يستخرجون أصول العربية قد توجّهوا إلى الشعر، مع أنَّ النّص القرآني كان بين أيديهم، فإنَّ أبا موسى يرى أنَّ هذا التوجّه توجّه دقيق، وما سلكه أولئك العلماء هو الطريق المستقيم؛ لأنَّ الغاية من وراء ذلك "هي حفظ اللسان الذي نزل به القرآن وتركوا الشعر لضاع منهم الكثير؛ لأنَّ

---

[129] الإعجاز البلاغي:١٨٣.

[130] م. ن :١٨٣.

[131] خصائص التراكيب:٤٢–٤٣.

[132] م. ن:٤٣، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٢٧–٢٨، وينظر : التصوير البياني: ١٣.

[133] يُنظر: دلائل الإعجاز:٢٦.

[134] يُنظر: مفتاح العلوم:٢٤٧–٢٤٨، ويُنظر: دلالات التراكيب:٣٦.

[135] خصائص التراكيب:٤٧.

[136] البلاغة العربية قراءة أخرى:٧.

[137] خصائص التراكيب:٤٣، ويُنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري:٦.

كثيراً من صيغ العربية واشتقاقاتها لم يقع في القرآن"[١٣٨]. ثُمّ إنَّ على الباحث في إعجاز القرآن أنْ يرصد الفنون البلاغية القائمة في الشعر ويدرسها دراسة واعية، وكيف تنزَّلت منازلها في كلام البشر، ثُمّ يعود إلى دراستها في القرآن دراسة واعية أيضاً بتحليل عناصرها وصورها وسياقاتها وكلّ ما يتصل بها من أجل أنْ يضع يده على الفروق بين ورودها في القرآن، وفي كلام البشر[١٣٩]. فالشعر إذن هو الركن الأساس الذي يقيم عليه الدكتور أبو موسى قضية الإعجاز، وليس هذا فحسب، بل نراه يوسّع الدائرة إلى المعارف والعلوم الأُخرى.

---

[138] خصائص التراكيب:٤٣.

[139] يُنظر: الإعجاز البلاغي:٢٣١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي "ت٦٤٦هـ"، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ.
- الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، ط: ٢، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت- لبنان، ٢٠١٠.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ"، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، ط: ١، دار المدني، جدّة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الأُسلوبية الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان- الأردن، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- الأُسلوبية والأُسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدّار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٧م.
- الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د. ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني" ت٧٣٩هـ"، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط: ٣، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي " ت ٧٩٤هـ"، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "ت ٢٥٥هـ"، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط: ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، د. عبد الملك بو منجل، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.
- التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١هـ أو ٤٧٣هـ"، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط: ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٥، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري"ت ٥٣٨هـ"، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط: ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- علم الأسلوب مدخل ومبادئ، شكري عيّاد، ط: ١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ٢٠١٣م.
- فن القول، أمين الخولي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، د. مصطفى سعيد الخن، ط: ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الخاتمة

ضمت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

١- ميدان علم البلاغة ميدان رحب، والدرس البلاغي حافل بالأسرار واللطائف والدقائق البلاغية التي تحتاج من الباحث إلى إعمال الفكر وتدقيق النظر.
٢- علم الأسلوب علم منتج في بيئة غير البيئة العربية، وعليه فهو مناسب للسياق المعرفي الذي ولد فيه، ولا يمكن أنْ يكون بديلاً عن علم البلاغة أو وريثاً شرعيّاً لها.
٣- لا يدعو أبو موسى إلى إهمال ثقافة العلوم الوافدة، بل يدعو إلى تعديل الاهتمام انطلاقاً ممّا أنتجه الفكر العربي ثُمّ النظر فيها تدقيقاً وتمحيصاً.

- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري "ت٥٣٨هـ"، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، ط: ١، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- مراجعات في أصول الدرس البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى، ط: ٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي "٩١١هـ"، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط:٢، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر، استانبول، تركيا، ١٣٩٢/١٩٧٢م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي "ت٦٢٦هـ"، حقّقه وقدَّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، ط:٤، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧م.

٤- يرفض أبو موسى فكرة التوليف بين تراثنا وعلوم غيرنا؛ لأنّها تقود إلى التغريب الكامل؛ بمعنى أنّه أمر يجافي طبيعة المعرفة وتناسقها وتساوقها.

٥- إذا كان التحليل البلاغي قد اعتنى كثيراً بالجملة فذلك أمر له ما يبرّره؛ لأنّ إقامة الاستدلال على قضية ما يُحتّم الانطلاق من الجملة أو مجموعة من الجمل، ومع هذا وجد أبو موسى أنّ علماء البلاغة قد انصرفوا إلى العناية بالنّص في كثير من مباحثهم.

٦- يدعو أبو موسى إلى عدم عزل قضية الإعجاز عن مجال الدراسة الأدبية، وقصرها على المدرسة الكلامية؛ ذلك أنّ طريقة أهل البيان هي التي تتجّه فيها العناية نحو الكشف عن الأسرار البلاغية؛ لأنّها وثيقة الصلة بأدب العرب، شعرهم ونثرهم.